السينمائي والمسرحي العراقي حكمت داود:

الإشكالية ليست في التعبير وإنما في كيفيـــة التعبيـــر

دمشق ـ إبراهيم حاج عبدي

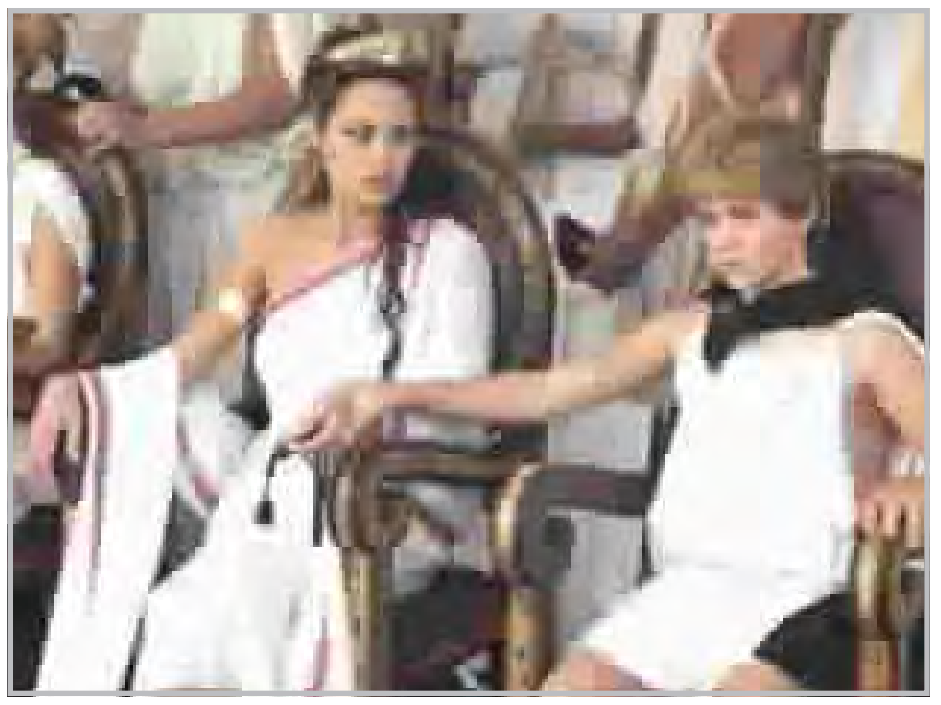

يعد حكمت داود من الوجوه السينمائية والمسرحية العراقية البارزة، يقدم نفسه على انه مخرج سينمائي لكن سيرته الفنية تكشف عن انه مهتم بالمسرح بقدر اهتمامه بالسينما، فهو أنجز العديد من الأفلام والمسرحيات في العراق وخارجه، ففي مجال المسرح شارك كممثل في "تموز يقرع الناقوس" ١٩٦٨ ، "عشاء الساعة الثامنة" ١٩٧٠ ، "كاليغولا" ١٩٧١ ، "مدينة الجذر التكعيبي" ١٩٧٢ ، "موت دانتون " ١٩٧٢ ، وفي مجال الإخراج قدم مسرحية "الموسيقى" ١٩٧٢ ، "في انتظار اليسار" ١٩٧٣ ، "جسر دلال" ١٩٧٦ ، "من يذكر تلك الأيام" ١٩٨٠ في بيروت وغيرها...

وبصورة مماثلة أنجز داود العديد من الأفلام منها فيلم "عادي ...ولكنه؟" ١٩٧٤، و"الجفاف" ١٩٧٥، و"خذوهم صغارا" ١٩٧٦ و"وادي الحضارات" ١٩٧٧ و"التبغ" ١٩٧٨ ، ولدى مغادرته العراق نهاية السبعينيات عمل في إطار مؤسسة السينما الفلسطينية فأنجز عدة أفلام منها "أبدا في الذاكرة" . بيروت ١٩٨٢ ، "يوميات حصار بيروت" . بيروت ١٩٨٢ ، "رحلة المواطن س" . بلغاريا ١٩٨٨، وفي تونس قدم فيلمين هما "النصر في عيونهم" ١٩٩٢ ، و "متألقون في الذاكرة" ١٩٩٤ ...وغيرها.

. الملاحظ في سيرتك الفنية تلازم الاهتمام بالمسرح والسينما...دون أن يشغلك أحد هذين الفنين بحيث تهمل الآخر!!

#بعد أن أنهيت الدراسة الأكاديمية وجدت أن العمل المسرحي لا يكفي لمجمل الرؤى التي احلم بها فانتسبت إلى معهد التدريب الإذاعي والتلفزيوني، وخلال دورة مكثفة لمدة عام انتسبت بعد التخرج إلى وحدة الإنتاج السينمائي والتلفزيوني، وأنجزت مجموعة من الأفلام التي حققت حضورا متميزا في الجانب التوثيقي باعتراف اغلب النقاد على الرغم من الظروف الصعبة التي كانت سائدة في تلك الفترة واقصد بها فضاء التعبير والقدرة على الجهر بالرأي الآخر وكان فيلم "خذوهم صغارا" من الأفلام التي نوه بها النقاد طويلا.

في نفس الوقت واصلت عملي المسرحي وأنجزت مسرحية "جسر دلال" المميزة على صعيد المعالجة الفنية فهي قدمت باللغة السريانية التي استقطبت جمهورا مسرحيا لم يكن يعرف المسرح بشكله الفني حيث قدمت في مسرح بغداد بنجاح غير أن السلطة أوقفت العرض دون ذكر الأسباب.

وواصلت العمل المسرحي إلى جانب السينما في بيروت بعد الخروج من العراق بسبب الظروف السياسية المعروفة حيث أنجزت أعمالاً مسرحية في بيروت وبلغاريا وحاليا ومنذ عشر سنوات اعمل أستاذا في المعهد العالي للفن المسرحي بتونس، ولدي الآن مشروع لإخراج مسرحية "ماكبث" لشكسبير برؤية جديدة تتداخل فيها عناصر السينما في العرض المسرحي.

عوني كرومي، فاضل الجعايبي، محمد إدريس وآخرون عملوا على تنويع التجارب الأسلوبية وصولا إلى خصوصية عربية كما ذكرنا، ولكن هذه التجارب سواء ما كان مكتوباً أو معروضاً تعيش الآن حالة من الإرباك نتيجة الضغوط المادية والرقابة إضافة إلى العولمة التي حددت إمكانيات الانتشار للتجارب العربية ليس بين الأقطار العربية فقط بل عبر العالم.

إن المسرح في الفترات السابقة كان يعتمد في تمويله ودعمه على الدولة أي كان القطاع العام هو الرافد الذي يغذي الأعمال المسرحية على الرغم من الرقابة المفروضة، أما الآن فان انسحاب الدولة من دعم الأعمال المسرحية أدى إلى هبوط كم الإنتاج المسرحي وانتقال العديد من الممثلين والفنيين إلى التلفزة لسهولة العمل فيها، وللربح المادي السريع.

. ألا تلعب الثقافة الاستهلاكية السائدة عبر الفضائيات والانترنت... دورا في تراجع دور السينما؟

#تعيش السينما في البلدان العربية ظروفا صعبة على صعيد الإنتاج والتوزيع، والسبب في ذلك هو ضعف الموضوعات المختارة للسينما (أي النصوص) وضيق فضاءات التعبير، حيث نلاحظ أن كم الأفلام المنتجة في مصر، التي تشكل اكبر قاعدة إنتاج عربية للسينما، هبط من نحو ٧٠ فيلما في العام إلى ما يقارب الـ ٢٥ فيلما أو اقل وذلك بسبب انسحاب الدولة من دعم الأفلام، وضيق السوق العربية أمام الفيلم النوعي، وزيادة الطلب على الفيلم الاستهلاكي الذي يرضي الأنظمة السياسية بحكم سطحية الموضوع والمعالجة، فالقائمون على السينما لا يمتلكون تلك الحرية الواسعة في التعبير، وهذا ما لوحظ في فيلم "بحب السيما" لأسامة فوزي، عندما تم استهدافه من قبل مرجعيات رقابية دينية أصبحت أكثر تأثيرا وتشددا في حصار الفيلم من القوانين الرقابية الرسمية السائدة، أما الأفلام النوعية عربيا ونقصد بها الأفلام المنتجة في القطاع العام في سوريا وتونس والمغرب فان السوق العربية غير قادرة على استيعاب هذه الأفلام للتعارض الموجود ما بين أفكار هذه المرجعيات الرقابية والمعالجة الفنية الموجودة في الفيلم، فلو توفرت لنا الإمكانيات الفنية بالاستفادة من التجربة الإيرانية في معالجة الموضوعات العربية ربما نشاهد أفلاما تستطيع أن تدخل السوق العربية وفيها مواصفات جمالية وفنية.

. كيف تقرأ ماضي السينما العراقية وواقعها انطلاقا مما قلت عن السينما العربية؟

#لا تختلف السينما العراقية في معاناتها عن السينمات في الأقطار العربية الأخرى، فالدولة هي التي تتحكم في آليات العمل السينمائي عبر مؤسسة السينما العراقية، ونقصد القطاع العام، ولكن القطاع العام لدينا تبنى فكرة الدفاع عن النظام الشمولي وسياساته المدمرة عبر أفلام أساءت إلى الإنسان العراقي فاغلب هذه الأفلام ذات صفة عقائدية تداولت "نضال" الحزب الحاكم، وبطولات قائده "الفذ"، ومن هذه الأفلام "الأيام الطويلة" في الثمانينات لتوفيق صالح (وهي فعلا طويلة ومملة) والفيلم الآخر "القادسية" للمخرج صلاح أبو سيف الذي قدم صورة بطولية عن معركة القادسية وأسقطها على الواقع العراقي في حرب العراق مع إيران.

إن هذين المخرجين العربيين قدما صورة سينمائية سيئة ليس في ذاكرة الإنسان العراقي فحسب بل كذلك العربي وقد أساءا إلى مستواهما الفني حيث أن الفيلمين جاءا ضعيفين بجميع المعايير .

أما المخرجون العراقيون فان اغلبهم قدم أفلاما تمجد بطولات الجيش العراقي في حربه مع إيران في الوقت الذي غادر الكثير من المخرجين العراقيين العراق وعملوا في سينمات مختلفة وفي المنافي الأوربية ومنهم قيس الزبيدي، قاسم حول، محمد توفيق (وحكمت داود المحاور) وغيرهم.

إن الوضع السينمائي العراقي الحالي هو جزء من المشهد الثقافي العراقي الذي يعاني عدم توفر الإمكانيات المالية، ومن الإرباك الأمني والسياسي الذي يحول دون إمكانية تقديم فيلم سينمائي جديد يجسد معاناة العراقيين في ظل النظام البائد، ورؤيته للواقع الحالي. فموضوعات السينما العراقية كثيرة ومتنوعة، ولو توفرت النية الصادقة والإمكانيات المطلوبة في دعوة المخرجين العراقيين للعودة وإلى وضع خطط إنتاجية صحيحة يمكن أن نشهد ولادة سينمائية عراقية جدية، وجديدة.

. أظهرت السينما العراقية خلال مسرتها وكأنها كانت أداة للتزييف والدعاية المجانية فحسب، ألم تنجز في العراق أفلاما سينمائية تحمل مضامين فكرية، وتتوفر على معالجات فنية راقية؟

#تعود ولادة السينما العراقية إلى ما قبل سقوط النظام الملكي حيث قدم المخرج كاميران حسني سنة ١٩٥٧ فيلم "سعيد أفندي" ،وهو أهم فيلم عراقي أنتج في تاريخ السينما العراقية إلى جانب أفلام أخرى قليلة منها فيلم "الحارس"عام ١٩٦٦ للمخرج خليل شوقي، ومن ثم فيلم "الظامئون" في نهاية الستينيات لمحمد شكري، وفيلم "بيوت في ذلك الزقاق" لقاسم حول في منتصف السبعينيات، كذلك فيلم "الأسوار "الذي نال جائزة في مهرجان دمشق السينمائي في دوراته الأولى، وما جاء بعد ذلك يقع تحت توجهات النظام السابق، ويخضع لمقولاته وشعاراته.

جوائز الأوسكار ومؤشـــرات الجـــدارة والفـــوز

إني لأتساءل إن كنت مشاهد السينما الوحيد الذي كان يعاني عناء جوائز الأوسكار حتى قبل أن يتم إعلان الترشيحات (لجوائز الأكاديمية). فبعد جوائز الكرة الأرضية الذهبية، واختيار الجمهور وجوائز النقاد وترشيحات النقابة، كان بإمكان أي متوقع حصيف أن يختصر المعلومات ويلحق بقائمة تضم ٩٥ بالمئة من المرشحين.

والقدر المطلق من المعطيات توحي به الإعلانات الداعية لفلم "فتاة المليون دولار"، التي تتباهى بكون الفلم على قمة القوائم العشر الصادرة عن ٢٠٠ ناقد سينمائي. وهو رقم من المرهق التفكير به، ويشير إلى ان (جوائز الأكاديمية) تصبح عرضة للتجاوز وفقاً للحساب الإحصائي كما هي الحال مع البيسبول.

والمشكلة الفاضحة التي تواجه جوائز الأوسكار هي أنه عندما يكون لديك الكثير جداً من المسابقات، الواحدة منها في أعلى الأخرى، فإنها تبدأ بإلغاء بعضها للبعض الآخر، وقد حاولت (أكاديمية فنون وعلوم الشريط السينمائي)، التي تسلم التماثيل، تسهيل المشكلة من خلال تقصير مدة الموسم، ناقلة المراسم المتعلقة به من أواخر آذار إلى أواخر شباط. غير ان القيام بحملة صلبة ما يزال يتمخض عن انتخابات سياسية قاسية من دون كثير من الدهشة.

فالفجوة الجماعية بدأت تزداد. والإجماع هو أن البنية تحتاج بشدة إلى فحص دقيق. وإذا شئنا أم ابينا، فإن التكهن بالأوسكار التكراري الذي لا نهاية له هو شغل أساسي بالنسبة لوسائل إعلام الاحتفالات النهمة التي تتغذى من (جوائز الأكاديمية) أربعة أشهر من ١٢ شهراً كل عام. وذلك هو السبب في اختراع البساط الأحمر، فالموضة تملأ الفراغ. ومن أجل مفاجآت فعلية، سيكون على المتكهنين ان يقيموا جلبة بين وقتنا هذا و٢٧ شباط حين يجري إعلان الجوائز مع بعض المقبلات المتناثرة من الأخذ والرد، التي سيتم هضم أغلبها في هذا الوقت الذي تقرأ فيه هذه السطور.

وربما كان أكثرها امتاعاً إقصاء بول غياماتي الذي انتخبته (دائرة نقاد نيويورك السينمائيين) كأفضل ممثل، وسيتم تفسير ذلك في وقت واحد معاً كلطمة في الوجه بالنسبة للنقاد المتشامخين وكإشارة بأن "الطرق االجانبية "Side waysقد تكون عقيمة في الماء. ويمكنك أيضاً أن تكون واثقاً من أن المباراة الثانية، في هذا الشهر، لهيلاري سوانك وأنيت بيننغ لجائزة أفضل ممثلة، وبعد خمس سنوات من دوريهما التنافسيين في "أيها الأولاد لا تبكوا" و"الجمال الأمريكي"، ستكون قصة ترفض الانقضاء. وأحد الأمور التي أشعر بالامتنان لها هو أن استبعاد كل من "آلام المسيح" و"فهرنهايت ٩/١١" لترشيحات أفضل الأفلام يوفر علينا كليشيهات الحالة الحمراء – الحالة الزرقاء المبتذلة.

إلا أن هناك نزعات معينة طويلة المدى يمكن تمييزها في الترشيحات، وتستمر الفجوة القائمة بين ستوديوهات هوليود وما تبقى من الحركة السينمائية المستقلة، ففي فئة الفلم الأفضل، يميل الميزان نحو هوليوود، فقط مع فلم "الطرق الجانبية" باعتباره مركبة لا نجومية. وثلاثة من تلك الترشيحات تتبع صيغاً مثبتة، وهي "الطيار"، و"شعاع" و"اكتشاف أرض لا وجود لها العثور على نيفيرلاند"، أما الرابع، وهو "فتاة المليون دولار" لكلنت ايستوود، فهو هجين عتيق الطراز على نحو باعث على الفخر مكون من دراما ملاكمة وقصة مدرة للدموع. ويشير ترشيح إيستوود لأفضل ممثل وأفضل مخرج إلى قوة (فتاة المليون دولار).

أما قائمة المرشحات لأفضل ممثلة، فإنها أكثر التباساً، مع كتالينا ساندينو مورينو (فلم "ماريا المفعمة بالنعمة)، ومفضلة النقاد، إيميلد استونتون (فيرا دويك) التي تمثل الاستقلال الشجاع. وإذا ما فازت بيننغ، كما يتوقع البعض، فسيكون ذلك لشعبيتها في هوليوود.

والعلامة الأكثر تشجيعاً بالنسبة لي على أن الترشيحات تؤكد على علاقة معقولة بالنوعية الإجمالية هي المستوى الرفيع بصورة متزايدة للتمثيل. فقد كان هناك هذا العام الكثير من المرشحين لجائزة أفضل ممثل بحيث أن تحديد خمسة فقط قد سد الطريق على متنافسين جديرين بهذا التصنيف. وفي سنة اقل ازدحاماً، فليس غياماتي فقط، وإنما أيضاً ليام فيسون في فلم "كينسي"، وجيف بريجيز في "الباب في الطابق الأرضي" وجافير باردييم في "البحر من الداخل" كانوا سيكونون من المختارين لهذه الجائزة على وجه التأكيد تقريباً.

(الطيّار) يحلّـــق بـ١١ ترشيحـــا للأوسكار

(CNN)حلق فيلم "الطيار" The Aviator فوق بقية الأفلام المرشحة للأوسكار، أرفع جوائز السينما التي تقدمها أكاديمية الفنون والعلوم السينمائية في الحفل الـ ٧٧ المرتقب إقامته في السابع والعشرين من فبراير / شباط المقبل، في بث حي تقوم بنقله مباشرة محطة ABC .

ونال "الطيار" للمخرج المخضرم مارتن سكورسيزي الذي فاته الأوسكار لفيلم "عصابات نيويورك" قبل عدة أعوام، ١١ ترشيحا الثلاثاء، منها أوسكار لأفضل مخرج "سكورسيزي" وأفضل ممثل (ليوناردو دي كابريو) وأفضل ممثل مساعد لألان ألدا وأوسكار لأفضل ممثلة مساعدة للمثلة القديرة كايت بلانشيت.

يُشار إلى أن فيلم "الطيار" هو اقتباس عن السيرة الذاتية لهاوارد هيوز، الثري الذي اشتهر بولعه بالطيران.

واستطاع سكورسيزي ان يخطف الأضواء عن زميله الممثل والمخرج كلينت إستوود، والتفوق على فيلمه الأخير" فتاة المليون دولار" الذي يدور حول ملاكمة.

وقد رشح فيلم إيستوود لسبعة أوسكارات، كذلك فيلم "العثور على نيفرلاند" وهو سيرة ذاتية عن كاتب قصة "بيتر بان" جاي. ام باري.

أما الممثل الأسمر الوسيم جايمي فوكس فقد حصد ترشيحين للأوسكار لأفضل تمثيل، واحد عن دوره في فيلم "راي" الذي يدور حول مغني الجاز الذي رحل قبل فترة، راي تشارلز، وأفضل ممثل مساعد عن دوره في فيلم الاقرب.

وبالإضافة إلى "الطيار"، نال كل من "العثور على نيفرلاند" و"فتاة المليون دولار" و"راي" و"طرق فرعية" طرق فرعية ترشيحات لأوسكار عن أفضل فيلم.

أما بقية الترشيحات لأفضل ممثل فهم دون شادال لدوره في فيلم "فندق راوندا"، وجوني ديب في فيلم "العثور على نيفرلاند" وكلينت ايستوود عن دوره في فيلمه "فتاة المليون دولار".

اما المرشحات لأوسكار أفضل ممثلة فهن: أنيت بينينغ في فيلم جوليا وكاتالينا ساندينو مورينو وإيمالدا ستونتون وهيلاري سوانك وكيت وينسلت حبيبة دي كابريو في "تايتانيك" لدورها في الفيلم

الذي رأيناها فيه إلى جانب الممثلة القديرة ميريل ستريب والممثل البارع جيم كاري "Eternal Sunshine of the Spotless Mind".

أما بقية المرشحين لأوسكار أفضل دور مساعد فهم: توماس هايدن تشرش "طرق فرعية" ومورغان فريمان "فتاة المليون دولار" وكليف أوين "القريب".

أما الممثلات اللواتي رشحن لأوسكار أفضل ممثلة مساعدة فهن: لورا ليني "كينسي" وفيرجينا مادسن "طرق فرعية" وصوفي أوكونيدو "فندق راوندا" وناتالي بورتمان "القريب".

وذهبت ترشيحات الأوسكار لأفضل مخرج لكلينت إيستوود "فتاة المليون دولار" وتايلور هاكفورد "راي" وألكسندر بايني "طرق فرعية" ومايك ليغ "فيرا دريك".

أما ترشيحات الأوسكار لأفضل اقتباس فذهبت إلى "قبل مغيب الشمس" و "العثور على نيفرلاند" و "طفل المليون دولار" و "مذكرات الدراجة الهوائية" و "طرق فرعية".

الإيحاء من خلال الأغنية في الفيلم

أ. د. عقيل مهدي يوسف

اختلف المتفرجون في ردود أفعالهم، فيما كان المتفرج في النظرة التقليدية، يتشوق إلى بعض الأفلام التي يفضلها، لأنها تمتلك القدرة على نقلنا إلى خارج حدود حياتنا اليومية، إلى عوالم الحركة والخيال والتشويق والأفعال الدراماتيكية والتنافر والأحساس بالموضوعات الراقية، من خلال الأزياء المبهرة مثلاً.

حاول (جودار) المخرج الفرنسي الشهير، مقاومة هذه الرغبة الجماهيرية الشائعة، وأراد أن ينمي أساليب فنية إخراجية جديدة لينقل المتفرج إلى تجربة جديدة وهي جعله خارج مكان أفلامه، وخارج زمانها وحدثها الدرامي.

(فلا تتحرك كاميرا جودار داخل مكان الفيلم بل تدور هنا وهناك خارج المكان محومة حول أشياء لا فيما بينها، والمكان يكون غالباً مسطحاً أو ضحلاً ومحدوداً).

وقد يذهب مخرج آخر إلى خلق (التشويق) عن طريق مخالف وجديد، مثل اللجوء إلى (الإيحاء) حيث يقول (جاك فايدر): (المبدأ في السينما هو الإيحاء) (..) إن فناً يخدم الغذاء الفكري لكتل بشرية هائلة، ينبغي له أن يظل دائماً في مستوى رفيع من الناحية الجمالية والأخلاقية) إذن يختلف المخرجون في طرق إدهاشهم وتشويقهم للمشاهدين، فمنهم من يتقوى بواقعية الحياة نفسها، ومنهم من يلجأ إلى جمالية الفن السينمائي، وهذا واضح في قول (جان لوك جودار) مخاطباً متفرجه بالنص الآتي: (لا تصدق أن ما تراه أمامك هو الواقع، إن ما تراه هو السينما).

من خلال هذا القول يريد المخرج أن يشوق المتفرج من خلال جعله – منفصلاً – قدر الإمكان عن الشاشة، وبعيداً عن التأثر بها.

وتجتذب أيضاً (موسيقى) الأفلام، والمؤثرات جمهوراً عريضاً، لأنها تجعل المتفرج يتمتع بمعايشة أجواء عاطفية مؤثرة، كذلك توصل إليه معاني المواقف الدرامية التي يظهر الأبطال من خلالها، فهي تجعل (المتفرج) كأنه يستمع لا إلى (نغمات) محايدة، وخارجة، بل كأنها صوت الأمومة، أو الطفولة، أو حتى نداء الوطن لتلبية واجب الدفاع المقدس عن حياضه.

وللموسيقى قدرة بأن تنقل مجرد (صوت) بشري، وتجعله صرخة شعبية هادرة ضد مضطهديه. وقد ترتبط بأشياء مادية، فكأننا نرى الموسيقى متحققة ومرئية وليست مسموعة فقط!! وبذلك تؤدي دوراً فنياً يعمق الجمال عند المتفرجين، فتضيف رونقاً وشاعرية على الحكاية، أو القصة التي يعرضها الفيلم. لقد عبرت الموسيقى في (ماما روما) عن فكرة العذاب وبذلك ترتفع أحاسيس المتفرج وتنخفض، وقد يزداد توتره فيصبح نشيطاً أو ينخفض توتره فيصبح متكاسلاً، أو تجذبه مشاعر من الفرح والبهجة والانطلاق، أو تكون حزينة مقبضة للروح، مكبلة للحركة ومعيقة لها.

وتسجل السينما العالمية، النجاحات المتتالية التي اجتذبت إليها الجمهور، وشوقتهم لمتابعة نجوم الغناء والرقص والاستعراض، مثل أفلام (الفيس بريسلي) أو في السينما العربية مثل: أفلام (عبد الوهاب) و(ام كلثوم) و(عبد الحليم حافظ، وفريد الأطرش، وفيروز، وصباح، وشادية) وسواهم.

فالأغنية، مثل الأفلام الموسيقية الاستعراضية شاعت كثيراً في اتجاه من الأفلام لتجتذب وتشوق جمهوراً عريضاً، يرغب في متعة سماع الأغاني، وهي مصورة ولها قصة أو حكاية في فيلم من الأفلام.

ترجمة / عادل العامل
عن / نيويورك تايمز